منهج التواصل والحوار

من خلال السيرة الصحيحة

صلح الحديبية أنموذجا

عبد الباري العفاني الفلاح

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منهج التواصل والحوار من خلال السيرة الصحيحة

"صلح الحديبية أنموذجاً"

عبد الباري العفاقي الفلاح
باحث في التربية والدراسات الإسلامية

1437 - 1438 هـ/ 2016- 2017م

Laafaki.abd@gmail.com

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

مقدمـة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادى لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد: فإن الحوار وسيلة مثلى للدعوة إلى الله تعالى، شرعها الله في كتابه الكريم، وذكر فيه صوراً كثيرة من الحوار، إذْ حاور هو سبحانه بعضاً من خلقه حواراً مباشراً كحواره الملائكةَ الكرام بشأن خلق آدم عليه السلام، وحواره لإبليس بشأن السجود لآدم عليه السلام، ومع موسى عليه السلام بشأن رؤيته سبحانه، ثم قصّ ذلك في القرآن الكريم ليأخذ منه المؤمنون العبرة والنفع في دينهم ودنياهم.

لذا فإن الحوار سنة إلهية، وفطرة فطر الله تعالى عليها خلقه، فلا يهمله إلا مخالف للفطرة التي فطره الله عليها عباده، ونعني بالإهمال هنا: عدم استنفاد الوسع وإعماله في حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية بالحوار واللجوء قبل ذلك إلى القوة التي دعا إليها القرآن الكريم كما قال تعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)**[1]، كما حدث ولا يزال يحدث في هذا العالم المليء بالصراع، الغائب عن التعامل السديد وعن ثقافة الحوار والتواصل في كثير من صراعاته وخلافاته المتزايدة يوماً بعد يوم، خاصة مع تعقد المصالح وتشابكها وزيادة القوة الفتاكة في أيدي الناس، وهي أخطار تهدد البشرية تهديداً خطيراً.

وقد شرع الله تعالى لأنبيائه عليهم السلام على مرّ التاريخ محاورةَ أقوامهم وتواصلهم معهم بالحسنى، وقصّ بعضاً من ذلك في كتابه الكريم، وتضمنت تلك الحوارات أسس العقيدة الوحيدة التي شرعها الله لعباده أولهم وآخرهم، إنسهم وجنهم وهي عقيدة الإسلام الذي لا يقبل الله من الناس يوم الحساب غيره.

وذكر الله تعالى نماذج من حوارات الخير والشر على مرّ التاريخ، كالحوار بين المؤمنين والكافرين، والحوار بين المؤمنين والمنافقين وغير ذلك.. وهكذا نجد أسلوب الحوار وسيلةَ دعوة إلى الله، وقد جاء واضحاً بيّنَ المعالم في القرآن الكريم.

والحوار فن، وأصله أن يكون ثمة طرفان يتداولان الحديث حول مسألة ما، أو قضية ما، فيجري بينهما كلام حول تلك المسألة أو القضية، هذا الكلام هو الحوار، أيّاً كان موضوعه أو أطرافه، إنه عملية لغوية تواصلية.

ولقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم من الحوار والتواصل أساساً لنشر دعوته، إذْ خرج إلى الناس يكلمهم ويحاورهم، ولقي من الأذى ما كان حرياً أن يمنع كثيراً غيره من الاستمرار في الدعوة، لكنه كان مكلفاً بذلك مأموراً بالصبر واحتمال الأذى متأسيا بقوله تعالى : **(واصبر وما صبرك إلا بالله)** ، وهكذا حاور قريشاً رجالاً ونساء، أفراداً وجماعات، ثم حاور من لقي من العرب خارجاً إليهم في المواسم عارضاً نفسَه عليهم ليحموه حتى يبلّغ عن الله تعالى، وبعد هجرته صلى الله عليه وسلم اتسع نطاق محاوراته، كما سنبين ذلك إن شاء الله تعالى.

وللتواصل والحوار أهداف وقواعد أصلها الإسلام، والتزم بها النبي صلى الله عليه وسلم في كل محاوراته لنتعلم نحن منه ونكون مقتدين به على وفق الأسوة الحسنة، ولكي ينجح حوارنا وتواصلنا

---

1 - سورة الأنفال الآية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الداخلي والخارجي لابدَّ لنا من التأسي بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم في حواراته الناجحة الهادية المرشدة.

وتتحدد أهداف الحوار والتواصل في الدين الإسلامي الحنيف بتهيئة العقل والقلب لمراد الله والفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وكبح جماح النفس والهوى، وعداوة الشيطان والدنيا ، والنظر إلى وسائل الحياة كوسيلة وليست غايات، وبناء الحياة الاجتماعية وفق الشريعة الغراء في أقواله وأفعاله وتقريراته ودلالات سنته ومواقفه، مع كمال الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن التربية الجهادية في السنة النبوية قائمة على إخلاء وإحلال، إخلاء فيه تطهير داخلي للنفس من الشرك والعصبيات والعادات ذات الصبغة الجاهلية، وإحلال للعقيدة الصحيحة وتحقيق الأمن للمجتمعات الإسلامية وغيرها، فالمجتمعات بحاجة ماسة إلى الجهاد التربوي الراشد كي يقودهم إلى بر الإيمان وبر الأمان .

السيرة النبوية مادة تربوية وسلوكية ينبغي أن تتلقى، ويتعلمها المتعلمون بهذا الهدف التربوي الذي يؤدي إلى تنمية السلوك البشري وتقويمه وفق الهدى المنهاجي النبوي الراشد الثابت في الكتاب والسنة.

تم تقسيم خطة هذا المقال على النحو التالي:

المبحث الأول: مدلول المنهج التواصل والحوار اللغوي والاصطلاحي.

المبحث الثاني: حديث صلح الحديبية الخاص بالحوار الذي دار بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش .

المبحث الثالث: تواصل النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية وانتهاجه لسياسة الحوار في عقد المعاهدة.

المبحث الرابع: بعض الفوائد والأحكام الشرعية المستنبطة من صلح الحديبية.

الخاتمة: وتتضمن بعض النتائج المستخلصة من هذا الجهد المتواضع.

وقد اعتمدت منهجية علمية في كتابة هذا الموضوع، وذلك من خلال:

1 - **الرجوع إلى بعض المصادر والمراجع في توفير المادة ذات الصلة بالموضوع**: حيث قمت بقراءة ما يتعلق بالموضوع في بعض الكتب في مادة السيرة النبوية وذلك ك: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم المتوفى سنة 751هـ ، وفقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي و ... .

2 - **إتباع الأسلوب العلمي في كتابة المقال وذلك عن طريق:**

- ✓ **توثيق المعلومات بشكل دقيق ونسبة الأقوال إلى أصحابها.**
- ✓ **توثيق الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وأقوال العلماء بشكل دقيق.**

3- **وضع علامات الترقيم والتشكيل والتصنيف.**

وأسأل المولى سبحانه أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والله من وراء القصد.

والحمد لله رب العالمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

(مدلول المنهج والتواصل والحوار اللغوي والاصطلاحي)

مدلول المنهج: يتناول هذا المبحث **مدلول المنهج والتواصل والحوار اللغوي والاصطلاحي** وبيان أهمية الخطاب التربوي الإسلامي من خلال السيرة النبوية الموجهة للشباب، وذلك للاقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في المنهج التواصلي والحواري مع صحابته الكرام انطلاقا من صلح الحديبية عملاً بقوله تعالى "وما آتَاكُم الرسولُ فَخُذُوه وما نَهاكُم عنه فَانتَهوا واتَّقُوا اللَّه ن اللَّه شَديد ٱلعقابِ"[1].

يقول ابن منظهور عن المنهج: (المنهج أو المناهج جمع مناهج، ويعني الطريق الواضح ... ويقال نهج الطريق: أبانه وأوضحه، وانهج الطريق أي: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً قال الشاعر: (وقد أضاء الطريق وانهجت سبل المكارم والهدى تعدي)

وجاء في المعجم الوسيط: (مصدر للفعل نهج يعني الطريق المستقيم الواضح البين فيقال طريقه ناهجه. أي واضحة بينة)

نخلص مما سبق إلى أن معنى المنهج في اللغة يعني الطريق البين، الواضح المستقيم وهي في مجملها تقود إلى معنى الخطة المرسومة، فلا خطة بدون بيان وتوضيح واستقامة. وهذا يقودنا إلى الوقوف على المعنى الاصطلاحي المنهج.

لقد وردت عدة تعريفات للمنهج في الاصطلاح وهذا الاختلاف راجع إلى ما سبقت الإشارة إليه في المقدمة، و المتمثل في حداثة علم الدعوة, وعدم رسوخه بعد. فقد عرفه العلماء والمفكرون والدعاة بالآتي:

1- محمد أبو الفتح البيانوني: (النظام والخطة المرسومة للشيء)

2- عبد الله حسن رزق: (الطريقة أو المعلومة التي يمكن بواسطتها أن تدرك أو تستخرج المعلومة). وقيل هو: (الطريقة التي توصلنا من العلوم لمعرفة المجهول) .

3- وجاء في الموسوعة الفلسفية: إن المنهج يعني: (مجموعة الإجراءات التي ينبغي اتخاذها بترتيب معنى لبلوغ هدف معين)

4- عبد الهادي الفضلي: هو: (الطريقة التي يتبعها العلماء في وضع قواعد العلم وفي استنتاج معارفه على ضوء تلك القواعد)

5- صاحب كتاب المنهج النبوي: (هو وعي على كيفية إنجاز عمل ما، وفهم لطريق الوصول إلى غرض مطلوب وفق ترتيبات واضحة، ومنظمة).

نلخص من التعريفات الآنفة إلى أن المعنى الاصطلاحي للمنهج يدور حول المعنى اللغوي إذ لاحظنا تكرر كلمة الطريق والطريقة في أكثر من تعريف. كما نلاحظ أن التعريفات السابقة – تشير إلى المنهج بصفة عامة سواء كان منهجاً علمياً, أو اقتصادياً, أو سياسياً. ولكن نحن بصدد الحديث عن منهج الدعوة فلابد من توضيح ذلك في التعريف ليكون تعريفاً جامعاً مانعاً.

وبرجوعنا إلى كتاب البيانوني الموسوم: (المدخل إلى علم الدعوة نجد أنه أضاف كلمة الدعوة وقال:(يمكننا أن نعرف مناهج الدعوة في الاصطلاح بأنها: نظُم لدعوة وخططها المرسومة لها)

---

1 - سورة الحشر - الآية7.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا التعريف – في تقديري- يحتاج إلى إضافة حتى يتسنى له أن يسع جميع جوانب وأبعاد مناهج الدعوة, ومعلوم أن أنواع مناهج الدعوة أربعة رئيسية هي: من حيث واضعها، وموضوعها، وطبيعتها، وركائزها. فإذا لم تظهر هذه الأنواع في التعريف يعد تعريفاً ناقصاً، وبالتالي يختل فيه الشرط الثاني للتعريف – أن يكون جامعاً – عليه وانطلاقاً من تعريف أستاذنا محمد أبو الفتح البيانوني، واستناداً على التعريفات السالفة أستطيع القول: إن التعريف الذي أراه – في تقديري- هو الأقرب إلى المعنى الاصطلاحي لمناهج الدعوة هو:

مناهج الدعوة: هي الخطط والنظم المرسومة للدعوة من حيث واضعها، وموضعها، وطبيعتها، وركائزها.

مدلول المنهج الاصطلاحي: لم يتعرض العلماء القدامى إلى بيان معنى المنهج اصطلاحا، لأنه من المصطلحات التي نشأت حديثا.

وقد عرفه المعاصرون بما يلي: "هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين، حين نكون بها عارفين"[1].

تعريف المنهج : هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة ؛ لاكتشاف الحقيقة ، أو أنه خطوات منظمة يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها[2].

(مدلول التواصل اللغوي والاصطلاحي)

مدلول التواصل اللغوي: وصلتُ الشيءَ وَصْلاً وَصِلَةً. ووَصَلَ إليه وُصُولاً، والتَواصُلُ: ضد التصارُمِ. ووَصَّلَهُ تَوْصيلاً، إذا أكثر من الوصل. وواصَلَهُ مُواصَلَةً ووِصالاً. ومنه المُواصَلَةُ في الصوم وغيره. ومَوْصِلُ البعير: ما بين عجزه وفخذه. والمَوْصِلُ: ما يُوصَلُ من الحَبل[3]اتحاد الأشياء بعضها ببعض كاتحاد طرفي الدائرة، ويضاد الانفصال.

مدلول التواصل الاصطلاحي: عرف التواصل نظريا بأنه نشاط شفهي أو كتابي، يتم بتبادل الأفكار والآراء والمعلومات عن طريق الإرسال والاستقبال، بواسطة نظام من الرموز متعارف عليها بين المتخاطبين، وخلال قنوات أو طرائق تربط بين المرسل والمرسل إليه.

وهو وسيلة تشغيل كل القدرات الفكرية والعقلية، من ملاحظة، ووصف، وتحليل، ونقد، وحكم واستنتاج وتقويم...

فالتواصل بين شخصين من أجل الإفهام والإقناع والإفحام يراد بذلك إحقاق الحق ودحض الباطل.

(مدلول الحوار اللغوي والاصطلاحي)

تكتسب المداخل اللغوية والاصطلاحية أهميتها من كونها أسساً ومبادئ تُبنى عليها العلوم، وقد صارت دراسة المصطلح علماً يُدرس في الجامعات والمعاهد المتخصصة، وكل دراسة جادة لابد لها أن تبدأ من المداخل اللغوية والاصطلاحية لتحديد المفاهيم والمحاور التي ستقوم حولها الدراسة، إن " قضية

1 - مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث (ص: 99).
2 -(1) منهج البحث في العلوم الإسلامية: (ص43).
3 - الصحاح (ج2/ص282).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المصطلح تكاد تكون من أدق القضايا في عصرنا، فالمصطلح كما هو معروف مفتاح العلم والثقافة، وبدون القدرة على استيعاب المصطلحات وتوليدها وفهمها لا يمكن استقرار علم ولا فهم..".

من هذا المنطلق نؤسس دراستنا لفن الحوار على الدرس الاصطلاحي أولاً، وهذه محاولة لجمع المصطلحات الدالة على الصور الحوارية المتنوعة في العربية ودراستها لغوياً واصطلاحياً.

قال في لسان العرب:" الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حار إلى الشيء وعنه حَوْراً ومَحَاراً ومَحارَة وحؤوراً: رجع عنه وإليه " [1] وقال أحمد بن فارس:" الحاء والواو والراء ثلاثة أصول أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دوراً.. فأما الأول فالحَوَر: شدة بياض العين في شدة سوادها.. ويُقال: حوّرتُ الثياب أي بيضتها... ويقال لأصحاب عيسى عليه السلام حواريون لأنهم كانوا يحوّرون الثياب أي يبيضونها، هذا هو الأصل ثم قيل لكل ناصر حَوَاري.. وأما الرجوع فيقال: حار إذا رجع، قال الله تعالى ﴿ **إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ** ﴾([2]) والعرب تقول: الباطل في حور، أي رجع ونقص، وكل نقص ورجوع حُوُر.. وتقول: كلمته فما رجع إليّ حِواراً وحَوَاراً ومَحْوَرة وحَوِيراً.. والأصل الثالث: المحور: الخشبة التي تدور فيها المحالة " [3] ويوضح اللسان المعنى الذي يدخل في موضوعنا من مادة "حور" فيقول: "وكلمته فما رجع إليَّ حَوَاراً وحِوَاراً ومُحاورةً وحَوِيراً ومَحْوَرةً.. أي جواباً، وأحار عليه جوابه: ردّه، والمحاورة: المجاوبة " [4].

ولفظ المحاورة كان مستعملاً عند عرب الجاهلية بمعناه المعروف اليوم، وقد ورد في معلقة عنترة قوله عن فرسه:

فـازورّ من وقـــع القَنا بلَبَـانه وشكا إليَّ بعَبرةٍ وتحمحُمِ

لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكى ولكان لو علم الكلامَ مكلّمي[5]

إن الأصل الدلالي الحسيّ للمادة إذاً يقوم على معنى الرجوع من شيء إلى شيء أو حال إلى حال، ولكن للمادة شبكة معقدة من الدلالات المتوالدة عبر لغة العرب الواسعة الثرية وهذا ما سيتضح من خلال المنهج الذي اتخذه الرسول صلى الله عليه وسيلم مع أصحابه في مكة وفي المدينة .

الحوار: مدخل اصطلاحي: إن الأصل اللغوي وقسماً من استعمالات المادة اللغوية يدلان على أن معنى الحوار أن هناك أقوالاً تدور بين طرفين، ولابدّ لها أن تبدأ من طرف فتنتقل إلى طرف آخر، ثم تحور - ترجع - إلى الأول، وهكذا تقع المحاورة والتحاور.

والمعنى الذي يدخل ضمن المفهوم الاصطلاحي من المعاني المتقدمة هو: الحوار والمحاورة والتحاور بمعنى المرادّة في الكلام والتواصل بين الأفراد، وهو يدل - في الأصل - على وجود طرفين - فردين أو أكثر - في مواجهة، يريد كل منهما إثبات رؤيته أو وجهة نظره حقاً كانت أم باطلاً، هذا الأصل في الحوار، ولكن المصطلح يتسع ليشمل أشياء كثيرة غير هذا، فليس بالضرورة في الحوار أن يكون بين طرفين متعارضين، إنما قد يكون بين أطراف متحدة أو متقاربة في المنهج والرؤية، وذلك لحل قضية أو مسألة أو تعلّم أو استخبار ، وهذا كله يعود إلى المحاورة والمرادّة في الكلام[6].

1- لسان العرب.
2 - الانشقاق:14
3- المقاييس في اللغة 287-288.
4- لسان العرب: حور.
5 - شرح المعلقات السبع129.
6- عالم المعرفة (265).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

دراسة حديث صلح الحديبية الخاص بالحوار والتواصل الذي دار بين (الرسول صلى الله عليه وسلم وبين قريش)

لعل المقام لا يتسع لذكر كل الأحاديث الواردة في صلح الحديبية استقصاءً وتتبعاً، لذا فإني أكتفي بذكر الحديث الخاص بالتواصل والحوار الذي دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش؛ لما له من علاقة بهذا الموضوع.

وأريد أن أشير هنا إلى الخلاف الحاصل في تسمية حادثة الحديبية، وأن تسميتها بالصلح، إن هو إلا ترجيح لبعض العلماء الذين اهتموا بالتدوين في مادة السيرة النبوية، وكذلك أيضا المحدثون الذين تصدوا لجمع السنة في الجوامع والمصنفات، فضلا عن أنَّ أحداً لا يماري في أنها كانت مقدمة الفتح المبين، فوجب العدول عن غيرها من التسميات؛ إذ سماها البعض بأمر الحديبية[1] ، وبعضهم بقصة الحديبية[2] ، وبعضهم بعمرة الحديبية[3] ، وثمة من سماها بغزوة الحديبية[4] .

ولعل كل فريق من هؤلاء كانت تسميته لها باعتبارٍ مَا، وَوَفْقَ مُرجح توصل إليه، وأحسبُ أنَّ جميع التَّسميات لا تتعارض مع ما قررناه، وإن كان قد يشكلُ على من سمَّاها بالغزوة؛ إذ الغزو فيها لم يقع حقيقة، وأنَّ الفتح الذي يتحقق بالغزو، غير الفتح الذي يتم بالصلح، وأنَّ العبرة في التسمية لفعل الشارع وإلى ما قضى به لا إلى ما اعتاده الغير من الأفعال والتصرفات والتسميات.

وعليه فقبل أن ننظر في موافقة التسمية لاصطلاح أهل السير والحديث، وأنه تم إطباق الصحابة صلى الله عليه وسلم على ذينك الاسم والاصطلاح[5] ، كان لا بد أن ننظر ابتداءً وانتهاءً إلى مآلات أفعال الشارع وتصرفاته، وأنه كما نتقيد بأمر الشارع ونهيه في عموم التكاليف الشرعية، فإنه يجب أيضا التقيد بأوامره ونواهيه في شؤون الحرب والسلم أيضاً وإن كان مجتهدا؛ لأن الله تعالى لا يُقره على خطأ؛ لذا قال تعالى﴿ في سورة النجم: **(وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى** يوحى)[6] .

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف، فإنه لا يعدو أن يكون خلافاً في اللفظ والتسمية ليس إلاَّ.

هذا وقد اخترت من الأحاديث الصحاح ما كان بلفظ صحيح البخاري، لأنه هو الأقوى ، فضلاً عن شروحه التي هي الأكثر تداولاً واستيعاباً ومتابعة لحوادث ووقائع قصة صلح الحديبية.

لقد ساق الإمام البخاري نص الحديث على طوله بعدِّه حواراً دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم والطرف الذي طلب منه الوساطة بينه وبين قريش، وما تم في الأخير من صلح ومصالحة، وإن كان المصنف قد اختصر صدر هذا الحديث في غير هذا الموضع، فإني أنقل هذا الحديث بطوله وتمامه؛ لما أفاده من نقل دقيق، ورصد لجميع فصول قصة صلح الحديبية، وأوضح بعض ما جاء من شرح لجمله وفقراته ـ التي غالباً ما أرمز لها بالخط الأسود العريض ـ من شرح ابن بطال، وشرح الخطابي، وفتح الباري ، وهما مضامين المعاني التي سأعرضه في هذا البحث المتواضع، وقد وجدت نفسي مضطراً إلى

---

(1) ينظر: سيرة ابن هشام (308/3).

(2)زاد المعاد (ج3/ص286.

(3)الدرر في اختصار المغازي والسير ص 204.

(4)فقه السيرة النبوية ص 230.

(5)مرويا ت الحديبية ص 16.

(6) النجم:3،4.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن أقوم بسوق الحديث في أطراف ومقاطع، اتباعا للمنهج العلمي في التعامل مع البحث، وذلك في كل طرف منه يُتبع بشيء من الشرح والبيان انطلاقا من الشروح المذكورة آنفا.

الطرف الأول من متن الحديث: قال الإمام البخاري: " حدثني عبد اللَّهِ بن مُحَمَّدٍ حدثنا عبد الرَّزَّاقِ أخبرنا مَعْمَرٌ قال أخبرني الزُّهْرِيُّ قال أخبرني عُرْوَةُ بن الزُّبَيْرِ عن الْمِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ ـ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ ـ قالا: "خَرَجَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ حَتَّى كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ خَالِدَ بن الْوَلِيدِ **بِالْغَمِيمِ**[1] في خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ **طَلِيعَةً**[2] ، فَخُذُوا **ذَاتَ الْيَمِينِ.**)[3] .

طليعة المشركين قدمت بمائتي فارس إلى كراع الغميم وعليهم خالد بن الوليد، ودخل بشر بن سفيان الخزاعي مكة، فسمع كلامهم وعرف رأيهم، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بذلك، ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم **عباد بن بشر** فتقدم في خيله فأقام بإزائه، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخوف، وصرف أصحابه، وأخذ بهم إلى طريق غير طريق خالد، وما جاوزوها إلا بمشقة كبيرة، حتى يتحاشى القتال، فأفضى بهم إلى ثنية أنزلتهم على الحديبية[4] .

الطرف الثاني من متن الحديث: جاء في صحيح البخاري:"... فَوَاللَّهِ ما شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حتى إذا هُمْ **بِقَتَرَةِ**[5] الْجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بِالثَّنِيَّةِ التي يُهْبَطُ عليهم منها بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فقال الناس: حَلْ حَلْ[6] . فَأَلَحَّتْ. فَقَالُوا: خَلَأَتْ[7] الْقَصْوَاءُ، خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ وما ذَاكَ لها بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ) ثُمَّ قال: (وَالَّذِي نَفْسِي بيده، لاَ يسألونني **خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فيها حُرُمَاتِ اللَّهِ إلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا.**)[8] .

"قال الخطابي: "وقوله: **وَالَّذِي نَفْسِي بيده، لاَ يسألوني خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فيها حُرُمَاتِ اللَّهِ إلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا،** يريد والله أعلم المصالحة والجنوح إلى المسالمة وترك القتال في الحرم والكف عن إراقة الدماء فيه، وهو معنى تعظيم حرمات الله."[9] .

الطرف الثالث من متن الحديث: جاء في صحيح البخاري:"... ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قال: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حتى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ على ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ الناس تَبَرُّضًا، فلم يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حتى نَزَحُوهُ، وَشُكِيَ إلى رسول اللَّهِ ﷺ الْعَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا من كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فيه، فَوَاللَّهِ ما زَالَ يَجِيشُ لهم بِالرِّيِّ حتى صَدَرُوا عنه،..."[10] .

قال ابن حجر: "قوله: ثم زجرها، أي الناقة، فوثبت، أي قامت، قوله: فعدل عنهم في رواية ابن سعد فولى راجعا، وفي رواية ابن إسحاق فقال للناس: انزلوا، قالوا يا رسول الله ما بالوادي من ماء ننزل عليه،

---

(1) الغميم: هو الكلأ الأخضر اليابس، والغميم فعيل بمعنى مفعول، أي مغموم، وهو الشيء المغطى، كراع الغميم موضع بين مكة والمدينة، والغميم موضع له ذكر كثير في الحديث والمغازي.
*- النهاية في غريب الحديث والأثر، (ج4/ص165)

(2) جمع طلائع: وهم الجماعات يبعثون بين يدي الجيش ليطلعوا على أخبار العدو ومكانهم، والواحد طليعة. ينظر: النهاية (ج3/ص133).

(3) أخرجه البخاري (2731 ، 2732) (388/5).

(4)السيرة النبوية لابن هشام-(ج4/ص276) .

(5) القترة: شبه دخان، غبرة يعلوها سواد ، و في التنزيل:﴿ ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة ﴾ عبس:40، 41، لسان العرب (73/5).

(6) حَلْحَلَ بالإبِلِ قال لها: حَلِ حَلِ مُنوَّنتين، أو حَلْ مُسكَّنةً، وكذلك حَلَى، وقيل حَلْ في الوصل، وكلّ ذلك زَجْرٌ لإناث الإبِلِ خاصَّةً .. واشتقّ منه اسمٌ، فقيل: الحَلْحَالُ، ينظر: تاج العروس (336/28)، لسان العرب (174/11).

(7) والخلاء في الإبل كالحران في الدابة، خلأت الناقة خلاء أي لم تبرح مكانها تعسرا منها، وخلأت الناقة حرنت وبركت من غير علة، ينظر: مختار الصحاح(ج1/ص77).

(8) أخرجه البخاري رقم(2731 ، 2732) (388/5).

(9)" معالم السنن في شرح سنن أبي داود " (ج2/ص328).

(10) أخرجه البخاري رقم(2731 ، 2732) (388/5).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قوله: على ثمد، بفتح المثلثة والميم، أي حفيرة فيها ماء مثمود أي قليل، وقوله قليل الماء تأكيد لدفع توهم أن يراد لغة من يقول أن الثمد، الماء الكثير، وقيل: الثمد، ما يظهر من الماء في الشتاء ويذهب في الصيف"[1].

قال الخطابي: "وقوله: يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا، أي: يأخذونَهُ قليلاً قليلاً. والبَرَّضُ: اليَسِيرُ منَ العَطَاءِ."[2]

قال ابن حجر: " قوله: فلم يلبثه بضم أوله وسكون اللام من الالباث، وقال ابن التين: بفتح اللام وكسر الموحدة الثقيلة، أي لم يتركوه يلبث أي يقيم، قوله: وَشُكِيَ بضم أوله على البناء للمجهول، قوله: فانتزع سهما من كنانته أي أخرج سهما من جعبته، ...قوله: يجيش بفتح أوله وكسر الجيم وآخره معجمة أي يفور وقوله بالري بكسر الراء ويجوز فتحها، وقوله: صدروا عنه أي رجعوا رواء بعد وردهم "[3].

الطرف الرابع من متن الحديث: جاء في صحيح البخاري: "... فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ جاء بُدَيْلُ بن وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ في نَفَرٍ من قَوْمِهِ من خُزَاعَةَ ـ وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ[4] رسول اللَّهِ ﷺ من أَهْلِ تِهَامَةَ ـ فقال: إني تَرَكْتُ كَعْبَ بن لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بن لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ[5] الْحُدَيْبِيَةِ، وَمَعَهُمْ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ[6] ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عن الْبَيْتِ. فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّا لم نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قد نَهِكَتْهُمْ الْحَرْبُ[7] وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شاؤوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ الناس، فَإِنْ أَظْهَرْ، فَإِنْ شاؤوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دخل فيه الناس فَعَلُوا، وَإِلاَّ فَقَدْ جَمُّوا[8] ، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بيده لَأُقَاتِلَنَّهُمْ على أَمْرِي هذا حتى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي[9] وَلَيُنْفِذَنَّ الله أَمْرَهُ).

فقال بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ ما تَقُولُ. قال: فَانْطَلَقَ حتى أتى قُرَيْشًا، قال: إِنَّا قد جِئْنَاكُمْ من هذا الرَّجُلِ، وَسَمِعْنَاهُ يقول قَوْلاً، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا. فقال سُفَهَاؤُهُمْ: لاَ حَاجَةَ لنا أَنْ تُخْبِرَنَا عنه بِشَيْءٍ. وقال ذَوُو الرَّأْيِ منهم: هَاتِ ما سَمِعْتَهُ، يقول: قال سَمِعْتُهُ يقول كَذَا وَكَذَا. فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قال النبي صلى الله عليه وسلم.

فَقَامَ عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ، فقال: أَيْ قَوْمِ، أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟، قالوا: بَلَى. قال: أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ؟، قالوا: بَلَى. قال: فَهَلْ تَتَّهِمونني؟، قالوا: لاَ. قال: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ[10] أَهْلَ عُكَاظَ، فلما بَلَّحُوا[11] عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟، قالوا: بَلَى.

قال: فإن هذا قد عَرَضَ عليكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ[12] اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِهِ. قالوا: ائْتِهِ. فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نَحْوًا من قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ."[13] .

---

(1) - فتح الباري (5/336،337)- .

(2)- أعلام الحديث (ج2/ص1337) .

(3) فتح الباري (5/337).

(4) يقال:فلان عيبة نصح: إذا كان موضع سره وثقته في ذلك، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، (ج1/ص396).

(5) الماء العد: الكثير الجري الذي لا انقطاع لمادته، كماء العين والبئر المعينة، ويقال في جمعه أعداد وهو الذي أراد بقوله: نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الحديبية"، أي نزلوا في هذه المواضع على هذه المياه،: نفسه (ج1/ص397).

(6) العوذ المطافيل: يريد النساء والصبيان، والعوذ: جمع عائذ وهي الناقة التي وضَعَتْ ...، والمطافيل: جمع مطفل وهي الناقة معها فصيلها،: نفسه (ج1/397).

(7) نَهِكَتْهُمْ الْحَرْبُ: أي أضرت بهم وانتشرت فيهم، يقال: نهكته الحمى نهكاً، إذا بلغت منه وأثرت فيه وبدا ضرها عليه، ينظر: نفسه(1/397).

(8) جموا: استراحوا، والجمام: الراحة بعد التعب، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (1/397).

(9) السالفة: صفحة العنق: وهما سالفتان عن يمين وشمال يعني الموت؛ لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بذاك، ينظر:نفسه (1/397).

(10) استنفرت القوم: دعوتهم إلى قتال العدو، فإن أجابوا، قيل: نفروا أي انطلقوا، فساروا، وإلا قيل: أبوا أو بلحوا، ينظر:نفسه(1/397،398).

(11)أصل التبليح الإعياء والعجز والفتور، يقال: بلح الرجل إذا انقطع من الإعياء فلم يقدر على الحركة وعجز عنها، وقد يقال بالتخفيف بلح، ينظر: نفسه(1/398).

(12) الخطة: الحال: خطة رشد وخطة غي، والرشيد والرشد والرشاد: الطريق المستقيم والهدي والاستقامة والصلاح، ينظر: نفسه (1/398).

(13) أخرجه البخاري رقم(2731 ، 2732) (5/388، 389).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال الخطابي: "قوله: **وكانوا عَيْبَةَ نُصْحِ رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، يريدُ: أنه كان موضع سِرِّهِ، وثِقَتِهِ، الذي يأتمنُهُ على أمره، وذلك أن الرجلَ إنما يودعُ عيبته حرَّ المتاعِ، ومصون الثيابِ، فَضُرِبَ المثَلُ في ذلك بالعيبةِ."[1].

قال ابن حجر: "وكان الأصل في موالاة خزاعة للنبي صلى الله عليه وسلم أن بني هاشم في الجاهلية كانوا تحالفوا مع خزاعة فاستمروا على ذلك في الإسلام"[2].

الطرف الخامس من متن الحديث: جاء في صحيح البخاري: " فقال عُرْوَةُ عِنْدَ ذلك: أَيْ محمد، أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هل سَمِعْتَ بِأَحَدٍ من الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى، فَإِنِّي واللهِ لا أَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَشْواباً[3] مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ.

فقال له أبو بَكْرٍ: امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عنه وَنَدَعُهُ؟ فقال: من ذَا؟، قالوا: أبو بَكْرٍ. قال: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَوْلاَ يَدٌ كانت لك عِنْدِي لم أَجْزِكَ بها لَأَجَبْتُكَ، قال وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ كَلِمَةً أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُغِيرَةُ بن شُعْبَةَ قَائِمٌ على رَأْسِ النبي صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إلى لِحْيَةِ النبي صلى الله عليه وسلم ، ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ[4] وقال له: أَخِّرْ يَدَكَ عن لِحْيَةِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فقال: مَنْ هذا؟ قالوا: الْمُغِيرَةُ بن شُعْبَةَ. فقال: أَيْ غُدَرُ، أَلَسْتُ أَسْعَى في غَدْرَتِكَ؟ وكان الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا في الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ جاء فَأَسْلَمَ. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أَمَّا الْإِسْلَامَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالَ فَلَسْتُ منه في شَيْءٍ).

ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النبي صلى الله عليه وسلم بِعَيْنَيْهِ. قال فَوَاللَّهِ ما تَنَخَّمَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نُخَامَةً إلا وَقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منهم فَدَلَكَ بها وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وإذا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإذا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ على وَضُوئِهِ، وإذا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إليه النَّظَرَ تَعْظِيمًا له.

فَرَجَعَ عُرْوَةُ إلى أَصْحَابِهِ فقال: أَيْ قَوْمِ، واللهِ لقد وَفَدْتُ على الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ على قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، واللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ ما يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مُحَمَّدًا، واللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إلا وَقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منهم فَدَلَكَ بها وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وإذا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإذا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ على وَضُوئِهِ، وإذا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إليه النَّظَرَ تَعْظِيمًا له.

وَإِنَّهُ قد عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا. فقال رَجُلٌ من بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ على النبي صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِهِ قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (هذا فُلَانٌ، وهو من قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ، فَابْعَثُوهَا لَهُ)، فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قال: سُبْحَانَ اللَّهِ، ما يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عن الْبَيْتِ. فلمَّا رَجَعَ إلى أَصْحَابِهِ قال: رأيت الْبُدْنَ قد قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فما أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عن الْبَيْتِ.

فَقَامَ رَجُلٌ منهم يُقَالُ له مِكْرَزُ بن حَفْصٍ فقال: دَعُونِي آتِهِ. فَقَالُوا: ائْتِهِ فلمَّا أَشْرَفَ عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: (هذا مِكْرَزٌ، وهو رَجُلٌ فَاجِرٌ). فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النبي صلى الله عليه وسلم. فَبَيْنَمَا هو

---

(1) أعلام الحديث للخطابي(2/1338).

(2) فتح الباري(5/ 337، 338).

(3) من الأوشاب، والأشواب من الناس مثل الأوباش وهم الأخلاط، والأشائب أيضاً الأخلاط من الناس، وواحد الأشائب إشابة، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (398/1).

(4) نعل السيف: ما يكون أسفل القراب حديد أو فضة، ينظر: نفسه(398/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يُكَلِّمُهُ إِذْ جاءَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو. قال مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عن عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جاء سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لَقد سَهُلَ لَكُمْ من أَمْرِكُمْ)[1].

قال ابن بطال:" وقول عروة للنبي:" أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ" دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يومئذ في جمع يخاف منه عروة على أهل مكة الاستئصال لو قاتلهم. وخوف عروة إن دارت الدائرة في الحرب عليه، أنْ يفر عنه من تبعه من أخلاط الناس؛ لأن القبائل إذا كانت متميزة لم يفر بعضها عن بعض، حتى إذا كانت أخلاطاً فرَّ كل واحد ولم ير على نفسه عاراً، والقبيلة بأصلها ترى العار وتخافه، ولم يعلم عروة أن الذي عقده الله بين قلوب المؤمنين من محض الإيمان فوق ما تعتقده القرابات لقراباتهم؛ فلذلك قال له أبوبكر: " امصص بظر اللات" وهكذا يجب أن يجاوب من جفا على سروات الناس وأفاضلهم ورماهم بالفرار،... وقوله: فكلما أخذ بلحيته، يعني: على ما جرت به عادة العرب عند مخطبتها لرؤسائها فإنهم يمسون لحاهم ويصافحونهم، يريدون التحبب إليهم والتبرك بتناولهم، ...، فلما أكثر عروة من فعله ذلك رأى المغيرة أن منزلة النبوة مباينة لمنازل الناس، وأنها لا تحتمل هذا العمل لما يلزم من توقير النبي صلى الله عليه وسلم وإجلاله." [2] .قال ابن حجر: " قوله: أخر، فعل أمر من التأخير، زاد ابن إسحاق في روايته قبل أن لا تصل إليك، وزاد عروة بن الزبير، فإنه لا ينبغي لمشرك أن يمسه...، قوله: فقال: من هذا؟، قال المغيرة وفي رواية أبي الأسود عن عروة فلما أكثر المغيرة مما يقرع يده غضب وقال ليت شعري من هذا الذي قد آذاني من بين أصحابك والله لا أحسب فيكم ألأم منه ولا أشر منزلة، وفي رواية ابن إسحاق فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عروة من هذا يا محمد؟، قال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة، وكذا أخرجه بن أبي شيبة من حديث المغيرة بن شعبة نفسه بإسناد صحيح وأخرجه بن حبان"[3] .

قال الخطابي:" قوله: أي غُدَرُ، يريد، المبالغة في وصفه بالغدر."[4] .

جاء في شرح ابن بطال:" وقوله: **"ألست أسعى في غدرتك"** يريد أن عروة كان يصلح على قوم المغيرة ويمنع منهم أهل القتيل الذي قتله المغيرة؛ لأن أهل المغيرة بقوا بعده في دار الكفر.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " أما المال فلست منه في شيء " يعني: في حل؛ لأنه علم أن أصله غصب، وأموال المشركين وإن كانت مغنومة عند القهر فلا تحل أخذها عند الأمن، وإذا كان الإنسان مصاحباً لهم فقد أمن كل واحد منهم صاحبه، فسفك الدماء وأخذ المال عند ذلك غدر، والغدر بالكفار وغيرهم محظور."[5] .

قال الحافظ ابن حجر: " قوله: فجعل يرمُق (بضم الميم) أي يلحظ، قوله: فدلك بها وجهه وجلده، زاد ابن إسحاق ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، وقوله: وما يُحِدُّونَ (بضم أوله وكسر المهملة) أي يديمون...، قوله: "ووفدت على قيصر" هو من الخاص بعد العام، وذكر الثلاثة لكونهم كانوا أعظم ملوك ذلك الزمان...، قوله: فابعثوها له، أي أثيروها دفعة واحدة، وزاد ابن إسحاق: فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي بقلائده قد حبس عن محله رجع ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن في مغازي عروة عند الحاكم: فصاح الحليس، فقال: هلكت قريش ورب الكعبة إن القوم إنما أتوا عُمَّارًا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل يا أخا بني كنانة فأعلمهم بذلك، فيحتمل أن يكون خاطبه على بُعْد، قوله: فما أرى أن يصدوا عن البيت، زاد ابن إسحاق: وغضب، وقال: يا معشر قريش ما على هذا عاقدناكم، أيصد عن بيت الله من جاء معظما له؟، فقالوا: كف عنا، يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى، "[6] .

---

(1) أخرجه البخاري رقم(2731 ، 2732) (389/5، 390).

(2) شرح ابن بطال (101/8، 102).

(3) فتح الباري(341/5).

(4) أعلام الحديث للخطابي(1339/2).

(5)- شرح ابن بطال (ج8/ ص102).

(6) فتح الباري(341/5، 342).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطرف السادس من متن الحديث: جاء في صحيح البخاري: "...قال مَعْمَرٌ قال الزُّهْرِيُّ في حَدِيثِهِ. فَجَاءَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو فقال: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا. فَدَعَا النبي صلى الله عليه وسلم الْكَاتِبَ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (بِسْمِ اللَّهِ الرحمن الرَّحِيمِ)، قال سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ ما أَدْرِي ما هو، وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللهم، كما كُنْتَ تَكْتُبُ.

فقال الْمُسْلِمُونَ: والله لانَكْتُبُهَا إلاَّ بِسْمِ اللَّهِ الرحمن الرَّحِيمِ. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ)، ثُمَّ قال: (هذا ما قَاضَى عليه مُحَمَّدٌ رسولُ اللَّهِ)، فقال سُهَيْلٌ: والله لو كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رسولُ اللَّهِ ما صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ ولا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ محمد ابنُ عبد اللَّهِ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (والله إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، أُكْتُبْ محمد بن عبد اللَّهِ) قال الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ (لاَ يسألونني خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فيها حُرُمَاتِ اللَّهِ إلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا) فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (على أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ)، فقال سُهَيْلٌ: والله لا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً[1] ، وَلَكِنْ ذلك من الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ. فقال سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ ـ وَإِنْ كان على دِينِكَ ـ إلاَّ رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا.

قال الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ؟ كَيْفَ يُرَدُّ إلى الْمُشْرِكِينَ وقد جاء مُسْلِمًا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دخل أبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلِ بنُ عَمْرٍو يَرْسُفُ[2] في قُيُودِهِ، وقد خَرَجَ من أَسْفَلِ مَكَّةَ حتى رَمَى بِنَفْسِهِ بين أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فقال سُهَيْلٌ: هذا يا محمد أَوَّلُ ما أُقَاضِيكَ عليه أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّا لم نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ). قال: فَوَاللَّهِ إِذًا لم أُصَالِحْكَ على شَيْءٍ أَبَدًا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فَأَجِزْهُ لي)، قالَ: ما أنا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قال: (بَلَى فَافْعَلْ)، قال: ما أنا بِفَاعِلٍ، قال مِكْرَزٌ: بَلْ قد أَجَزْنَاهُ لك. قال أبو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إلى الْمُشْرِكِينَ وقد جِئْتُ مُسْلِمًا؟ ألاَ تَرَوْنَ ما قد لَقِيتُ؟ وكانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا في اللَّهِ، قال: فقال عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قال: (بَلَى)، قُلْتُ: أَلَسْنَا على الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا على الْبَاطِلِ؟ قال: (بَلَى)، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ[3] في دِينِنَا إِذًا؟ قالَ: (إنِّي رسول اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وهو نَاصِرِي)، قلت: أَوَ لَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَاتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قال: (بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟)، قال: قلت: لاَ،قال: (فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ)، قال: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هذا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قالَ بَلَى،قُلْتُ: أَلَسْنَا على الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا على الْبَاطِلِ؟ قال: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في دِينِنَا إِذًا؟ قالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُو نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ[4] فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قلت: أَلَيْسَ كان يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قال بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لاَ قالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ، قال الزُّهْرِيُّ قال عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالاً. قالَ: فَلَما فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِأَصْحَابِهِ: (قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا.) قال فَوَاللَّهِ ما قام منهم رَجُلٌ، حَتىَّ قالَ ذلك ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لم يَقُمْ مِنْهُم أَحَدٌ دخل على أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لها ما لَقِي من النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذلك؟ اخْرُجْ، لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حتى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فلم يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتىَّ فَعَلَ ذلِكَ، نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ. فلما رَأَوْا ذلك قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حتى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ (حتى بَلَغَ) بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾[5] ، فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا له في الشِّرْكِ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بنُ أبي سُفْيَانَ وَالْأُخْرَى صَفْوَانُ بن أُمَيَّةَ، ثُمَّ رَجَعَ النبي صلى الله عليه وسلم إلى الْمَدِينَةِ، فَجَاءَهُ أبو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وهو مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا في طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ فَقَالُوا: الْعَهْدَ الذي جَعَلْتَ لنا، فَدَفَعَهُ إلى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حتى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ من تَمْرٍ لَهُمْ، فقال أبو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: واللهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هذا يا فُلَانُ جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ الْآخَرُ فَقَالَ: أَجَلْ واللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَد جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ،

---

(1) الضغطة: القهر والتضييق، وأصل الضغط، الشدة والمشقة، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (399/1).

(2) الرسف: المشي المقيد، رسف يرسف رسفاً ورسيفاً، وارتسفت الإبل طردتها مقيدة، ينظر: نفسه(399/1).

(3) فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّة: أي لم نرضى بالدون والأقل، ينظر: نفسه (399/1).

(4) الغرز للرحل بمنزلة الركاب من السرج، ينظر: نفسه (400/1).

(5) الممتحنة:10

"فقال أبو بَصِيرٍ: أَرِنِى أَنْظُرْ إليه، فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ، فَضَرَبَهُ حتى بَرَدَ، وَفَرَّ الْآخَرُ حتى أتى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو، فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حين رَآهُ: (لَقَد رَأَى هذا ذُعْرًا[1]).

فلما انْتَهَى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: قُتِلَ والله صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ فَجَاءَ أبو بَصِيرٍ فقال: يا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ والله أَوْفَى الله ذِمَّتَكَ قد رَدَدْتَنِي إلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِى الله مِنْهُم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ[2] لو كان له أَحَدٌ)، فلما سمع ذلك عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إلَيْهِمْ؛ فَخَرَجَ حتى أتى سِيفَ الْبَحْرِ[3] .

قال: وَيَنْفَلِتُ منهم أبو جَنْدَلِ بن سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لاَ يَخْرُجُ من قُرَيْشٍ رَجُلٌ قد أَسْلَمَ إلا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حتى اجْتَمَعَتْ منهم عِصَابَةٌ[4] ، فَوَاللَّهِ ما يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ[5] خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إلى الشام إلاَّ اعْتَرَضُوالهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ. فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إلى
النبي صلى الله عليه وسلم تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ لما أَرْسَلَ فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ فَأَرْسَلَ النبي صلى الله عليه وسلم إلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى﴿ وهو الذي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ من بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عليهم" حتى بَلَغَ) الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾[6] وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لم يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ ولم يُقِرُّوا ببسم اللَّهِ الرحمن الرَّحِيمِ وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ"[7] .

قال ابن حجر:" قوله: فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا في رواية ابن إسحاق فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم جرى بينهما القول حتى وقع بينهما الصلح على أن توضع الحرب بينهما عشر سنين وأن يأمن الناس بعضهم بعضا وأن يرجع عنهم عامهم هذا...، قوله: فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب هو علي ...ويجمع بأن أصل كتاب الصلح بخط علي كما هو في الصحيح ونسخ مثله محمد بن مسلمة لسهيل بن عمرو ...، قوله قال المسلمون سبحان الله كيف يرد ... لأنه كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه، فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا منه، وأبى سهيل إلا ذلك، فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، فرد يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأته أحد من الرجال في تلك المدة إلا رده، وقائل ذلك يشبه أن يكون هو عمر،...، فلما لأنَ بعضهم لبعض في الصلح وهم على ذلك، إذ رمى رجل من الفريقين رجلا من الفريق الآخر، فتصايح الفريقان وارتهن كل من الفريقين من عندهم، فارتهن المشركون عثمان ومن أتاهم من المسلمين، وارتهن المسلمون سهيل بن عمرو ومن معه، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة على أن لا يفروا وبلغ ذلك المشركين فأرعبهم الله، فأرسلوا من كان مرتهنا ودعوا إلى الموادعة وأنزل الله تعالى: ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم الآية ﴾[8] ، قوله: فلما فرغ من قضية الكتاب زاد ابن إسحاق في روايته فلما فرغ الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين، ومنهم: أبو بكر وعمر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ومحمود بن مسلمة وعبد الله بن سهيل بن عمرو ومكرز بن حفص وهو مشرك، قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا في رواية أبي الأسود عن عروة فلما فرغوا من القضية أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدى فساقه المسلمون يعني إلى جهة الحرم حتى قام إليه

---

(1) الدعر: الفزع، ينظر: نفسه (400/1).

(2) مسعر حرب: أي موقد حرب، يقال: سعرت النار وأسعرتها فهي مسعورة ومسعرة، والمسعر الخشب الذي تسعر به النار أي توقد، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (400/1)، قال الخطابي في أعلام الحديث(1341/2):"وقوله (وَيْلُ امِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ)، كلمةُ تعجبٍ يصفهُ بالإقدام، في الحرب والإيقاد لنارها، واشتقَاقُهُ من؛ سَعَرْتُ النار: إذا أوقدتها.".

(3) سيفَ البحر: ساحل البحر، وهو يحاذي المدينة إلى جهة الساحل وهو قريب من بلاد بني سليم، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (400/1)، فتح الباري(350/5).

(4) العصابة: الجماعة من الرجال نحو العشرة، والجمع عصب، وقيل: هي العشرة إلى الأربعين، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (400/1).

(5) العير: الإبل والحمير التي تحمل عليها الأحمال، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (400/1).

(6) الفتح:24ـ 26.

(7) أخرجه البخاري رقم(2731 ، 2732) (390/5ـ 392).

(8) الفتح:24.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المشركون من قريش فحبسوه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنحر، قوله: فوالله ما قام منهم رجل قيل كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام؛ لإتمام نسكهم، وسوغ لهم ذلك؛ لأنه كان زمان وقوع النسخ، ويحتمل أن يكونوا أَلْهَتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم مع ظهور قوتهم واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور، ويحتمل مجموع هذه الأمور، قوله: فذكر لها ما لقي من الناس في رواية ابن إسحاق فقال لها ألا ترين إلى الناس إني آمرهم بالأمر فلا يفعلونه؟، وفي رواية أبي المليح فاشتد ذلك عليه فدخل على أم سلمة، فقال: (هلك المسلمون أمرتهم أن يحلقوا وينحروا فلم يفعلوا) قال: فجلى الله عنهم يومئذ بأم سلمة، قوله: قالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم ...وعرف النبي صلى الله عليه وسلم صواب ما أشارت به ففعله، فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى فعل ما أمرهم به إذ لم يبق بعد ذلك غاية تنتظر، ، قوله: فأرسلت قريش في رواية أبي الأسود عن عروة فأرسلوا أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ويتضرعون إليه أن يبعث إلى أبي جندل ومن معه، وقالوا: ومن خرج منا إليك فهو لك حلال غير حرج"[1].

(1) فتح الباري (5/342ـ 350).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث

تواصل النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية وانتهاجه لسياسة الحوار في عقد المعاهدة

لا يمكن القول بأن الخطة التي سلكها النبي **صلى الله عليه وسلم** في صلح الحديبية بدأت فقط عندما أمضى على بنود الصلح مع سهيل بن عمرو موفد قريش الأخير، بل إن خطته **صلى الله عليه وسلم** كانت مرسومة لديه منذ أزمع الخروج مع صحبه إلى مكة؛ إذ كيف يفكر أن يدخل عليهم لو لم يكن قد أعدَّ خطته تملك قوة المنطق لا منطق القوة فقط كما يقول بعض المفكرين؛ إذ استعمال القوة قبل صلح الحديبية كان هو ملاذ قريش وتخطيطها، وخيار الحرب مُضرٌ بالجميع، فالحرب السجال تؤدي إلى الاستنزاف، وهذا الذي أراد النبي **صلى الله عليه وسلم** أن يعدل عنه لما أقدم على صلح الحديبية؛ إذ هو صانعها والمخطط لها من البداية إلى النهاية؛ لذا قال **صلى الله عليه وسلم** :(إِنَّا لم نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قد نَهِكَتْهُمْ الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شاؤوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ الناس، فَإِنْ أَظْهَرْ، فَإِنْ شاؤوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دخل فيه الناس فَعَلُوا، وَإِلاَّ فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَ الَّذِي نَفْسِي بيده لَأُقَاتِلَنَّهُمْ على أَمْرِي هذا حتى تَنْفَرِدَ سَالِفَتى ولَيُنْفِذَنَّ الله أَمْرَهُ) [1]

فقريش لم تكن لها المبادرة فيها، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يسهل أمر القبول بها على قريش ؟.

إنها قوة منطق الخطة السلمية التي بادر بها النبي **صلى الله عليه وسلم** والتي أحرجت العدو، فخطة صلح الحديبية أشبه ما تكون بالحرب الباردة التي يكون فيها النصر للمبادر والمقبل على عدوه، وغزوه في عقر داره، ألا ترى كيف أدركت قريش للوهلة الأولى انهزامها إعلامياً إن هي قبلت بدخول النبي **صلى الله عليه وسلم** وصحبه إلى مكة لأداء النسك؟، وهي تدرك أنه لم يأت رغبة في الحرب، وإنما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته، وقالوا: "والله لا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذلك من الْعَامِ الْمُقْبِلِ" [2] ؛ لذا لا يقال: إن قريشاً لما اشترطت على النبي **صلى الله عليه وسلم** أن يرجع من فوره، ولا يدخل مكة إلا في العام القادم، كان كاشتراط الطرف القوي على الطرف الضعيف الذي يقبل بكل شيء، بل إني أقول: إن العكس هو الصحيح؛ لأن النبي **صلى الله عليه وسلم** لما رأى تحقق الهدف الأساس والمتمثل في قبول قريش بالصلح، جنح معها في حواره للمرونة، وأخذ الأمور معها بالرفق واللين، لاسيما وأنه قد أعلن عن الهدف العام الذي تحمله الخطة المتينة في محاورته وتواصله مع قريش؛ إذ قال: (وَالَّذِي نَفْسِي بيده، لاَ يسألونني **خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فيها حُرُمَاتِ اللَّهِ إلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**)[3].

فلقد "كان لهذه السياسة الحكيمة الحازمة المسالمة التي ساس بها رسول الله **صلى الله عليه وسلم** الموقف أثرها في توجيه الأمور إلى نهايتها التي قصد إليها رسول الله **صلى الله عليه وسلم** من هذه السياسة التي تحمّل فيها على نفسه ومجتمعه المسلم، وامتحن فيها أصحابه رضي الله عنهم أشد الامتحان، فصبروا للمحنة بعد أن محصوا تمحيصا أخلص أنفسهم للتأسي التسليم لما يراه رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ولو خفيت عليهم حكمته وأسراره."[4].

هذا وهو **صلى الله عليه وسلم** كمحاور بارع ـ يحمل معه الخطة المبنية على الصدق والعزم على عقد الصلح وإجراء التفاوض وبدء الحوار ـ لم يستعجل المشركين من قريش في القبول بعرضه للصلح، بل قابل أسلوبها في الخداع والغدر ـ الذي سلكته في الجولات الأولى من التفاوض والحوار من خلال ممثليها

---

(1) سبق تخريجه في هذا البحث.

(2) سبق تخريجه هذا البحث.

(3) سبق تخريجه هذا البحث.

(4) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهج ورسالة ـ (ج4/ص268- 269) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و المفاوضين عنها ـ بأسلوب التهدئة والحل السلمي، وذلك عندما عرض عروة بن مسعود على المشركين أن يأتي النبي **صلى الله عليه وسلم** فيكلمه فيما جاءهم به بديل بن ورقاء، ثم بعثوا إليه الحليس...، وكان يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، قال: (هذا فُلَانٌ، وهو من قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ، فَابْعَثُوهَا لَهُ)، فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، قال: سُبْحَانَ اللَّهِ، ما يَنْبَغِي لِهَؤُلاَءِ أَنْ يُصَدُّوا عن الْبَيْتِ. فلمَّا رَجَعَ إلى أَصْحَابِهِ قال: رأيت الْبُدْنَ قد قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فما أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عن الْبَيْتِ.[1] .

ولما أراد النبي **صلى الله عليه وسلم** أن يبعث بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له باعتباره من أركانه ومن قادته، دله عمر رضي الله عنه على عدم نجاح المحادثات بينه وبين قريش لما تحمله قريش عليه من ضغينة، واقترح عليه عثمان بن عثمان رضي الله عنه بديلاً عنه، وهذا الموقف من عمر رضي الله عنه يدل على مدى حرص صحابة رسول الله **صلى الله عليه وسلم** في نجاح الحوار مع قريش، وأنهم يشاركون في صُنْعِ تخطيط الحوار مع الآخر، و على هذا ينبغي أن يُفسر تنازل عمر رضي الله عنه لمأمورية السفارة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، لا سيما وأنه قد أخذ النبي **صلى الله عليه وسلم** بمشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي الأخير، ولمَّا أرسلت بسهيل بن عمرو ممثلاً عنها، أدرك النبي **صلى الله عليه وسلم** بما خبره من شؤون الآخر ـ الذي طالما ناصبه العداء، بل وقد حاولوا مراراً وتكراراً تصفيته وقتله، حتى اضطر للخروج من بلده، لمأ أذن الله له بذلك ـ، أنَّ قريشاً تُريد من الصلح حفظ ماء الوجه؛ إنْ بقي لها أمام العرب ماء أو وجه، وعلى هذا ينبغي أَنْ يُفَسَّر قبوله **صلى الله عليه وسلم** بالتعديلات التي طالَبَ بها سهيل بن عمرو إدخالها في كتاب ووثيقة الصلح.

ولم تكن ثقل شروط المعاهدة التي تحمَّل فيها رسول الله **صلى الله عليه وسلم** على نفسه أمراً عظيماً، بحيث لا يقوى على تحمل وقعها أحد من العالمين، بالسبب المسوِّغ له في عدم التوقيع على عقد هذه المعاهدة، فكانت بحق أساساً لسياسة علاقة الدولة والمجتمع الإسلامي بسائر المجتمعات البشرية حرباً وسلماً.

والدليل على عدم تحمل وقع هذه المعاهدة لأحد من العالمين، عدم تحمل الصحابة لها؛ إذ أَظْهَرَ أغلبُ الصحابة شيئاً من الرفض و عدم التسليم بما جاء فيها، كاد يصل بهم إلى العصيان بسبب ما آل إليه من اتفاق على بنود الصلح التي يدل ظاهرها على كثير من الإجحاف والتنازل الملفت للانتباه.

أقول: ولولا أنَّ رسول الله **صلى الله عليه وسلم** جاء رحمة للعالمين، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[2] ، وأنه رؤوفٌ بالمؤمنين رحيمٌ بأصحابه، مصداقًا لقوله تعالى﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حرص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[3] ؛ لهلك كل من تحرك حركة مغضبة، كعمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره من الصحابة الكرام؛ إذ لم تتحمل أجواؤهم النفسية البشرية، هذا الموقف الذي يستعصي تحمله من لم يكن صديقاً أو نبياً؛ لذا انفرد عن الصحابة بثباتٍ راسخٍ، وإيمان صادق، الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ لأنه نال من دون الصحابة مقام الصديقين، وهو سيد الراسخين بعد النبي **صلى الله عليه وسلم**، ومن هنا أخذ حوار النبي صلى الله عليه وسلم وجهة أخرى؛ لأن حواره صلى الله عليه وسلم كما أسلفت ، لم يكن فقط بينه وبين ممثل قريش، بل تعدى ذلك إلى كبار الأركان من الصحابة عليهم الرضوان، مِمَّا صعب مهمة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

---

(1) سبق تخريجه هذا البحث.

(2)الأنبياء: 107.

(3)التوبة 128.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الرابع

(بعض الفوائد والأحكام الشرعية المستنبطة من صلح الحديبية)

لقد التزمت في ذكري لبعض الفوائد والأحكام الشرعية المستنبطة من صلح الحديبية، في الغالب الأعم بما صدر عنه صلى الله عليه وسلم، وأما ما أذكره من أفعال الصحابة رضي الله عن الجميع فإنه يؤول في الغالب إلا ما أقرهم عليه، فلا يخرج عندئذ عن أن يكون من قبيل إقراره لهم فنقول:

أولا: معجزاته صلى الله عليه وسلم الظاهرة وفيه بركة سلاحه وما ينسب إليه، وقد وقع نبع الماء من بين أصابعه في عدة مواطن[1].

ثانيا: أنَّ كثيراً من المشركين كانوا يعظمون حرمات الإحرام، والحرم وينكرون على من يصد عن ذلك تمسكا منهم ببقايا من دين إبراهيم عليه السلام، مثلما ورد في قصة الحليس وهو رجل من بني كنانة[2] .

ثالثا: فضل المشورة، وأن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد وليس فيه أن الفعل مطلقا أبلغ من القول، وجواز مشاورة المرأة الفاضلة، مثلما ورد في قصة أم سلمة رضي الله عنها[3] .

رابعا: بدء الكتاب: "باسمك اللهم" عادة محمودة عند المشركين، على خلاف أكثر الناس اليوم[4] .

خامسا: جواز استعمال الفأل، واستحبابه له، وأنه مغاير للطيرة لقوله عليه الصلاة والسلام لما جاء سهيل (سهل أمركم) [5] .

سادسا: كاد أن تحصل حرب فيما بين المشركين، بسبب وجود من عظّم منهم الهدي وحرمة الصد عن البيت، مما ساعد ذلك في الأخير على إبرام الصلح.

سابعا: وفي قصة الحديبية أنزل الله عز وجل فدية الأذى لمن حلق رأسه بالصيام أو الصدقة، أو النسك في شأن كعب بن عجزة، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للمحلقين بالمغفرة ثلاثا، وللمقصرين مرة[6].

فهذه بعض الفوائد التي نستشفها من هذه (**المعاهدة، والهدنة، والصلح**) وهي أكبر وأجل من أن يحيط بها إلا الله الذي أحكم أسبابها، فوقعت الغاية على الوجه الذي اقتضته حكمته وحمده.

---

(1) ينظر: فتح الباري(337/5).

(2) ينظر: فتح الباري (342/5).

(3) ينظر: فتح الباري(347/5).

(4)بعض فوائد صلح الحديبية، للشيخ محمد بن عبد الوهاب-(ج1/ص12).

(5)- ينظر: بعض فوائد صلح الحديبية (ج1/ص14).

6 - زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج3/ص299).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخاتمة:

وتتضمن خلاصة ما توصلت إليه من نتائج، أوجزها فيما يأتي:

أولا: إن الخلاف الحاصل في تسمية حادثة الحديبية، وإن كان في حقيقة الأمر من جهة اللفظ والتسمية، إلا أنه يرجح تسميتها بالصلح؛ لتوافقها مع مضمون الخطة النبوية، فضلا عن أنَّ أحداً لا يماري في أنها كانت مقدمة الفتح المبين، فتطلب البحث العدول عن غيرها من التسميات.

ثانيا: لا يمكن القول بأن **الخطة** التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية بدأت فقط عندما أمضى على بنود الصلح مع سهيل بن عمرو موفد قريش الأخير، بل إن **خطته** صلى الله عليه وسلم كانت مرسومة لديه منذ أن عزم على الخروج مع صحبه رضي الله عنهم جميعا إلى مكة.

ثالثا: اقتراح عمر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم في أن يكون عثمان بن عثمان رضي الله عنه بديلاً عنه، ليس فيه جُبْنٌ وتخل عن المسؤولية، بل هو موقف من عمر رضي الله عنه يدل على مدى حرص صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في **نجاح الحوار والتواصل** مع قريش، وأنهم يشاركون في صُنْع ا**لتخطيط والحوار مع الآخر**، و على هذا ينبغي أن يُفسر تنازل عمر رضي الله عنه لمأمورية السفارة لعثمان بن عثمان رضي الله عنه ، وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فهذا آخر ما من الله بتسطيره في هذه البحث، فأسأل الله عز وجل أن يثيبني الثواب الجزيل فيما أصبت فيه، وأن يتجاوز عني فيما أخفقت فيه، وأن يجعل عملي هذا في ميزان الدرجات والحسنات إنه ولي ذلك والقادر عليه، وللإشارة رغم ما بذلت في هذا العمل من جهد، فإنه لاشك ما زال بعيدا عن الصورة المثلى التي يمكن أن يكون عليها، نظرا لقلة الزاد العلمي خصوصا في المجال السيرة النبوية الذي تعتبر مجالا شاسعا بالنسبة للتربية والتعليم والقيادة الراشدة، ولذلك نقول بأن الموضوع لا زال قابلا لمزيد بحث وتمحيص، فهذا قليل من كثير، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المصادر والمراجع:

1) القرآن الكريم.

2) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطَّابي (319هـ - 388هـ)، تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن سعيد بن عبد الرحمن آل سعود، الطبعة الأولى(1409- 1988) المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة.

3) بعض فوائد صلح الحديبية، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: د. ناصر بن سعد الرشيد، الطبعة: الأولى، مطابع الرياض - الرياض.

4) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لمحمد بن أبي فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبدالعزيز، الطبعة: الأولى، مكتبة السنة، القاهرة، مصر(1415- 1995).

5) الدرر في اختصار المغازي والسير، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1386هـ.

6) زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبد الله، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت ، الكويت، (1407- 1986)، الطبعة الرابعة عشر، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرؤوط.

7) السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، الطبعة الأولى، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

8) شرح ابن بطال على صحيح البخاري، للشيخ العلامة أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي المتوفى سنة 449هـ ، حققه وخرّج أحاديثه مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى (2003- 1424) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

9) صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار الفكر 1401هـ - 1981م.

10) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، قام بشرحه وتصحيح تجاربه وتحقيقه محب الدين الخطيب، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه، واستقصى أطرافه ونبه على أرقامها في كل حديث الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، راجعه قصي محب الدين الخطيب، الطبعة الأولى(1407هـ/1986)، دار الريان للتراث، القاهرة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

11) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة الحادية عشرة(1411هـ/1991م)، دار الفكر بدمشق.

12) لسان العرب، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري دار إحياء التراث العربي، دار صادر ـ بيروت.

13) تاج العروس من جواهر القاموس- تحقيق: علي هلالي، مطبعة حكومة الكويت، ط2- سنة (1407هـ -1987م)

14) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، القاهرة :المطبعة الأميرية.

15) معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة حكومة الكويت

16) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة ط1 -سنة:(1427هـ-2006م).

17) مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث - ديوان المطبوعات الجامعية- لعمار بوحوش ط2- سنة 1999م.

18) الصحاح ـ تاج اللغة وصحاح العربية ـ للإمام الجوهري - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (د.ر.س.ط) دار الكتاب العربي بيروت.

19) انظر شرح المعلقات السبع، معلقة عنترة بن شداد: أبو عبد الله الحسين الزوزني- ط مكتبة المعارف - بيروت 1408هـ - 1988 م.

انظر: عالم المعرفة (265) - الثقافة العربية وعصر المعلومات: د / نبيل علي: ، الكويت يناير 2001 م.